﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء: 41 - 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

من كانت غايته خسيسة؛ عَميَت عينه عن كلّ غاية نفسية

لمّا أرسل فرعونُ في طلب السَّحرة المهرة من كلِّ مكان؛ حُشروا إليه سراعًا معلنين له الخضوع والإذعان؛ إشارةً إلى ضخامة ما أوتي من الملك والسلطان، ولمّا كان سعيهم لغير الحقِّ، وكان استمساكهم بما اختلق من شرار الخلق؛ جاء من كان لهم معقد الرجاء، ساعيًا للجاه وطالبًا للجزاء؛ وفي هذا دليل على أنَّهم لم يكونوا أصحاب قضيَّة، بل أصحاب أغراض دنيَّة، ولمّا كان احتياج فرعون إلى السحرة شديدًا، كان البذل منه سخيًّا وأكيدًا؛ ومن لا يكون له ناصر إلا بضمان الجِعالة وبذل الرِّشوة فعمّا قريب يُخذل ويُهزم، وكل ما سعى لبنائه يُحطم ويُهدم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَأَجۡرًا﴾: (أجر) أصلٌ يدلُّ على الكِراء على العمل، ومنه الأجر والأجرة[2]، الأَجْر والأُجْرة: ما يعود من ثواب العمل دنيويًّا كان أو أخرويًّا، نحو قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [العنكبوت: 27]، وقوله تعالى: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [يوسف: 57]، وجمع الأجر: أُجور[3].

(1) القشيري، لطائف الإشارات: 3/ 11، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 502، والبقاعي، نظم الدّرر: 14/ 31، والمراغي، تفسير القرآن: 19/ 60، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5353.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (أجر).

والأُجْرة في الثَّواب الدُّنيويّ، مثل الكِراء[1]، ولا يقال الأجر إلا فيما كان نفعًا، فلا يقال في الضُّرِّ، بخلاف الجزاء، فإنَّه يقال في النَّافع والضَّار[2].

ويقال: أَجَر زيدٌ عمرًا يأجُرُه أجرًا؛ أي: أعطاه الشَّيء بأجرة، وآجَر زيدٌ عمرًا: أعطاه الأجرة، وأثابه[3]، وأَجَر المملوكَ يأجُرُه أجرًا، فهو مأجور، وآجَرَه يُؤجِره إيجارًا ومؤاجرة، وآجرت عبدي أوجِره إيجارًا، فهو مُؤجَر[4]، والاستئجار: طلب الشَّيء بالأجرة، نحو: استأجَرْتُ الرَّجل فهو يأْجُرني ثمانيَ حِجَجٍ؛ أي: صار أجيري[5]، ومنه قول الله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ [القصص: 27]، ومعناه: أن تُثيبَني على الإجارة[6]، ويُعبَّر به أيضًا عن تناوله بأجرة؛ نحو: الاستيجاب في معنى الإيجاب[7].

2) ﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾: أصل (قرب) يدلُّ على خلاف البُعْد[8]، والقُرْب ضدُّ البعد، يقال: قَرُب الشَّيء يقرُب قُربًا؛ أي: دنا، فهو قريب، الواحد والاثنان والجمع سواء في ذلك[9]، وقَرِبْتُه أقرَبُه قُربانًا؛ أي: دنوت منه، وقرَبت أقرُب قِرابة، مثل: كَتَبْتُ أكتُب كِتابة، إذا سِرتَ إلى الماء وبينك وبينه ليلة، والاسم القَرَب[10].

ويُستَعْمَل الدُّنوُّ أيضًا في معنى الحُظْوَة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤﴾ [الأعراف: 114][11]، ويقال الحُظْوَة القُرْبَة كما في قوله تعالى: ﴿قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾ [التوبة: 99][12].

والتَّقارُب ضِدُّ التَّباعُد، وشيء مُقارِب: وسَط بين الجَيِّد والرَّديء، وكذلك إذا كان

(1) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أجر).
(2) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أجر).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (أجر).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (أجر).
(5) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أجر).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة: (أجر).
(7) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أجر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرب).
(9) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (قرب).
(10) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (قرب).
(11) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (قرب).
(12) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (قرب).

رخيصًا[1]، ويقال للشَّيء إذا ولَّى وأدبر: تَقارَب[2]، والتَّقرُّب: التَّدنِّي إلى الشَّيء والتَّوصُّل إلى الإنسان بقُربة أو بحقٍّ أو بما يقتضي حُظْوَةً[3].

والقُرْبان: ما تَقرَّبتَ به إلى اللّه ﷻ تبتغي بذلك قُربةً ووسيلة، يقال: قرَّبتُ للّه قُربانًا، وصار في العرف اسمًا للنَّسيكة التي هي الذَّبيحة، وجمعه: قرابين[4]، والقربان أيضًا: واحد قرابين المَلِك، وهم وزراؤه وجلساؤه وخاصَّته الذين يتَقرَّبون إليه[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إغـراء فـرعـون للسحرة بالمال، كان إلى زوال

يعرض السِّياق القرآنيُّ في هاتين الآيتين ما دار بين السَّحرة وفرعون حين جاؤوا للموعد والاجتماع المحدَّد بينه وبين موسى عليه السلام؛ إذ يقول: فلمّا جاء هؤلاء السَّحرة مجلس فرعون قالوا مؤمِّلين طالبين: أَئِنَّ لنا لثوابًا وجزاءً عظيمًا مِنْ مال ونحوه إن كنّا نحن المتغلِّبين على موسى وقومه؟ قال: نعم لكم الأجر العظيم والفضل الجزيل، وإنَّكم حينئذٍ مع حصولكم على كل الأجر لَمِنَ المقرَّبين لدينا؛ لأنكم نصرتموني على عدوي الذي أخشاه على مُلْكي[6].

وترشد الآيتان إلى إعطاء المكافأة للفائزين في المباراة وغيرها، ومن ذلك السِّباق في الإسلام[7].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاء ودلالتها في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا﴾:

لـم يـتـوانَ الـسَّـحَـرة في الاسـتـجـابـة لـلـحـاشـريـن، فجاؤوا مسرعين

عُبِّر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ بالفاء الدّالَّة على التَّرتيب

(1) الجوهري، الصحاح: (قرب).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (قرب).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات: (قرب).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (قرب).
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (قرب).
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 127، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 10/ 245.
(7) الجزائري، أيسر التفاسير: 3/ 647.

والتَّعقيب والسُّرعة؛ إيذانًا بسرعة حشر السَّحَرة، وفي هذا إشارة إلى ضخامة ملك فرعون ووفور عظمته[1]، ذلك أنَّ جنوده الحاشرين قد انتشروا في ربوع مملكته، واستوعبوها أمرًا وحشرًا، ولم يتأخَّر السَّحرة رَغَبًا ورَهَبًا.

دلالة التَّعبير بـ(لَمّا) الحينيَّة:

اشترط السَّحَرة الأجر فور مجيئهم؛ ضمانًا لحقوقهم

(لمّا) ظرفُ زمانٍ إذا وقع بعدَه الماضي، نحو: (جئتُ لمّا جئتَ)، ومعناه معنى (حين)، وهو الزَّمان المبهَم، وهو مبنيٌّ لإبهامه واحتياجه إلى جملةٍ بعدَه، كبناءِ (إذْ) و(إذا)[2]، فيقتضي جملتين وُجِدت ثانيتُهما عند وجود أولاهما، نحو: لمّا جاءني أكرمتُه، ويقال فيه: حرف وجود لوجود، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب[3]؛ أي أنَّه يتطلَّب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشَّرط بجوابه[4]، فالحاصل أنَّ (لمّا) ظرفٌ بمعنى (حين) متضمِّنٌ معنى الشَّرط[5].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾؛ يعني: إلى الميقات[6]، لوعد لموسى عليه السلام وموعد فرعون[7] ﴿قَالُوٓاْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾؛ أي أنَّهم قالوا ما قالوه بمجرَّد مجيئهم؛ ضمانًا لحقِّهم باشتراطهم الأجر، وتحسُّبًا من إزراء فرعون بهم بإمساك العطاء عنهم.

وقد أفادت (لمّا) ربط اشتراط الأجر بلحظة المجيء، وبيان حين حدوث ذلك.

سرُّ إيثار التَّعبير بالمجيء دون الإتيان:

في المجيء معنى القصد والحصول لتحقُّق حضورهم

الإتيان: مجيء بسهولة، ومنه قيل للسَّيل المارِّ على وجهه: أَتِيٌّ وأَتاويٌّ[8]، والمجيء كالإتيان، لكنَّ المجيء أعمُّ؛ لأنَّ الإتيان مجيء

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 31.
(2) ابن يعيش، شرح المفصل: 3/ 136.
(3) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 369.
(4) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 565.
(5) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 71.
(6) السمرقندي، بحر العلوم: 2/ 554.
(7) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 347.
(8) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، والفيروزابادي، البصائر: (أتى).

بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارًا بالحصول، ويقال (جاء) في الأعيان والمعاني، ولِما يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولَمن قصد مكانًا أو عملًا أو زمانًا، قال الله تعالى: ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤﴾ [الفرقان: 4]؛ أي: قصدوا الكلام وتعمَّدوه، فاستُعمل فيه المجيء كما استُعمِل فيه القصد[1].

فممّا سبق يتبيَّن أن المجيء فيه معنى القصد، والحصول، والظُّهور، وفيه كذلك معنى الانحدار إلى حيِّز أو تجوُّف سفليٍّ مهيَّأ جامع؛ كالماء في الهبطة والحُفرة[2].

وهذا هو سرُّ إيثار المجيء دون الإتيان في قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾؛ لأنَّ مجيئهم كان عن طريق حشر جنود فرعون لهم، فلم يكن ملحوظًا فيه معنى السُّهولة، ثمَّ إنَّه كان مجيئًا مقصودًا لعلَّة مقصودة ولمكان مقصود، وكان فيه أيضًا معنى الحصول لتحقُّق حضورهم، ومعنى الظُّهور؛ نظرًا لكثرة أعدادهم، ومعنى الانحدار إلى حيِّز جامعٍ؛ لكونهم أقبلوا مِن كلِّ مدائنِ مصر منحدرين إلى عاصمة المُلك مجتمعين فيها، وهذا كلُّه لا يؤدِّيه لفظ الإتيان، فلله درُّ التَّنزيل!.

معنى (أل) في ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾:

(أل) في ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾ تفيد معنى الاستغراقِ العرفيِّ، فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾

لا يعني كلَّ سَحَرَة العالَم، بل سَحَرة مملكته؛ أي: الذين كانوا في جميع بلاد مصر[3].

دلالة التَّعبير بالماضي في المجيء والقول:

في التَّعبير بالماضي في قوله تعالى: ﴿جَآءَ﴾، و﴿قَالُوٓاْ﴾ معنى التَّحقيق والتَّأكيد، فالآيات تحكي قصَّة وقعت قُصِد منها تسلية

في التَّعبير بالمُضيِّ تحقيق للأخبار، وتصديق للنَّبيِّ المختار

(1) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، والفيروزابادي، البصائر: (جاء).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (جاء).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 31.

النَّبيِّ ﷺ، وإعلام الكفّار بصدق الوحي؛ إذ يخبِر بما لم يشهده النَّبيُّ ﷺ، ولم يعلمه هو ولا قومُه من قبل هذا.

معنى اللّام ودلالتها في قوله تعالى: ﴿لِفِرْعَوْنَ﴾:

خصّوه بقيلهم؛ لأنَّه المقصود بمضمون شرطهم

الأصل في معنى (اللّام) أنَّه حرف موضوع للدَّلالة على الاختصاص[1]، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ﴾، فكأنَّهم خصّوه بقيلهم؛ لأنَّه المقصود بمضمون شرطهم، فهو المرجوُّ حصولُ ولائه، المطموع في عطائه.

كما أفاد اللّام تعدية الفعل ﴿قَالُواْ﴾ للمقول له (فِرْعَوْنَ)؛ تحقيقًا لمعنى التَّخصيص.

نكتة التَّعبير بالاسم العلَم: (فِرْعَوْنَ):

جاء التَّعريف بالعلميَّة في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ﴾ لعلَّة استحضاره في الذِّهن، وتعيينًا للمَقول له ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾، وتمهيدًا لما بعده مِن تعيين القائل في قوله: ﴿قَالَ نَعَمْ﴾.

غرض الاستفهام في: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾:

الاستفهام للتَّقرير، لضمان الحصول على الأجر الكثير

جاء الاستفهام في قول السَّحَرة: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ مسوقًا لغرض التَّقرير[2]، وإنَّما ساقوا طلبهم مساقَ الاستفهام أدبًا معه[3].

وسؤالهم عن استحقاق الأجر إدلالٌ بخبرتهم وبالحاجة إليهم؛ إذ علموا أنَّ فرعون شديد الحرص على أن يكونوا غالبين، وخافوا أن يسخِّرهم فرعون بدون أجر، فشرطوا أجرَهم مِن قبل الشُّروع في العمل ليقيِّدوه بوعده[4]، وسألوه لتكون الإجابة منه هو إقرارًا على نفسه، توكيدًا للوعد، وضمانًا للأجر.

(1) الزمخشري، المفصل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 479، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 64.
(2) ثناء الله المظهري، التفسير المظهري: 7/ 66.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 32.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 126.

وقرئ في الشاذِّ: ﴿أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ بغير استفهام، ومعناه: إنّك ممن يحبّنا ويبرّنا[1].

معنى اللّام ودلالتها في: ﴿لَنَا﴾:

(اللّام) حرف موضوع في الأصل للدَّلالة على الاختصاص[2]، وهو في قول السَّحَرة: ﴿أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ دالٌّ على الاختصاص أيضًا؛ أي: أجرًا خاصًّا لنا لا يشاركنا فيه غيرنا.

نكتة تقديم شبه الجملة ﴿لَنَا﴾ على الخبر ﴿لَأَجْرًا﴾:

أراد السَّحَرة وفور الجزاء، والاستئثار بالعطاء

أفاد تقديم شبه الجملة الواقع خبرًا على المسند إليه في قول السَّحَرة ﴿أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ معنى التَّخصيص وقصر المسنَد ﴿لَنَا﴾ على المسنَد إليه ﴿لَأَجْرًا﴾، فلا يكون لغيره.

وقد أفاد هذا التَّخصيصُ معنى التَّوكيد.

معنى اللّام ودلالتها في: ﴿لَأَجْرًا﴾:

(اللام) في قوله: ﴿لَأَجْرًا﴾ هي لام الابتداء المزحلَقَة المفيدة للتَّوكيد[3].

نكتة تنكير ﴿لَأَجْرًا﴾:

طلب السَّحَرَة أجرًا كثيرًا، وعطاءً وفيرًا

التَّنكير في قول السَّحَرَة: ﴿أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ مقصود به التكثير[4]؛ لأنَّهم يطلبون مكافأة على عمل ضخم يقومون به، وهو إبطال دعوة موسى عليه السلام، والإبقاء على دين فرعون[5].

ولمّا كان التَّنكير يُشعِر بعدم الإحاطة بالمنكَّر فقد دلَّ - بمعاونة القرائن - على أنَّه كثيرٌ بالغٌ الكثرة، ومن هنا كانت إفادة التَّنكير للتَّكثير[6].

(1) النحاس، إعراب القرآن: 3/ 123.
(2) الزمخشري، المفصل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 479، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 64.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 71، وبهجت صالح، الإعراب المفصل: 8/ 185.
(4) المراغي، علوم البلاغة، ص: 127.
(5) محمد قاسم، علوم البلاغة، ص: 332.
(6) جامعة المدينة، البلاغة - المعاني: 2/ 226.

ولا يبعد أن يكون المقصود بالتَّنكيرِ التَّعظيمُ؛ أي أنَّهم طلبوا أجرًا كثيرًا، وهو مع كثرته عظيم[1].

فائدة طلب السَّحَرة أجرًا من فرعون:

لو قدَر السَّحَرة على قلب الأعيان لأحالوا التُّراب تِبْرًا

في قول السَّحَرة ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ دليلٌ على أنَّ كلَّ الخَلْق كانوا عالمين بأنَّ فرعون كان عبدًا ذليلًا مَهينًا عاجزًا، وإلّا لما احتاج إلى الاستعانة بالسَّحرة، ودليلٌ ثانٍ على أنَّ السَّحرة ما كانوا قادرين على قلب الأعيان، وإلّا لما احتاجوا إلى طلب الأجر والمال مِن فرعون؛ لأنَّهم لو قدروا على قلب الأعيان لقلبوا التُّراب ذهبًا، ولنقلوا ملك فرعون لأنفسهم، ولجعلوا أنفسَهم ملوك العالم ورؤساءه، والمقصود من هذه الآيات تنبيه الإنسان لهذه الدَّقائق، وأن لا يغترَّ بكلمات أهل الأباطيل والأكاذيب[2].

وفيها دليل ثالث على بُخل فرعون، وأنَّ السَّحَرة كانوا لا يثقون بإنجازه وعدَه، بدليل أنَّهم طلبوا منه أجرًا على عملهم قبل مزاولتهم إيّاه، وكانوا عدولًا في طلبهم؛ لأنَّهم حدَّدوا الأجرَ بالوصول إلى الغاية كالطَّبيب الذي يطالِب بالأجر على الشِّفاء لا على العلاج والعمل[3].

علَّة فصل قوله: ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ عن سابقه:

وثـق السَّحـرة بـأنَّـهـم سيـغـلـبـون، فطلبوا أجرًا على ما سيقدِّمون

فُصِلت جملة: ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ عن سابقتها لما بينهما من شبه كمال الاتِّصال، ذلك أنَّها استئناف بيانيٌّ[4] ناشئ عن سؤال مقدَّر بعد قولهم: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾، فكأنَّ فرعون سأل: وعلامَ تطلبون أجرًا؟ فقالوا: ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾؛ أي: لأنَّنا سنغلب.

نكتة التَّعبير بالجملة الشَّرطيَّة:

تتركَّب الجملة الشَّرطيَّة من فعلين يقع الآخر منهما بوقوع الأوَّل؛

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 242، والبروسوي، روح البيان: 6/ 273.
(2) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 566.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5353.
(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 71.

أي أنَّهما مرتبطان ارتباط المسبَّب بالسَّبب، والنَّتيجة بالمقدِّمة؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: 7]، فالنَّصر على الأعداء مشروط بنصر دين الله سبحانه، وهو متحقِّق بتحقُّقه، ففي التَّعبير بالجملة الشَّرطيَّة نوع توكيد مستفاد مِن تحقُّق الجواب بتحقُّق الشَّرط.

طـلـبـوا إلـيـه الإحسان إنْ هُم غلبوا، فأجابهم إلى ما طلبوا

وفي قول السَّحَرة: ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ اشتراط لنَيل الأجر في حال الحاجة إلى الفعل ليكون ذلك أجدر بحُسن الوعد ومجاز القصد[1]، فكأنَّهم قالوا: إنْ غلبْنا نِلنا الأجر الكثير، وإنَّ غَلَبَنا لَمتحقِّقٌ، فهل أنت منجزٌ وعدَك؟

علَّة التَّعبير بـ﴿إن﴾ دون (إذا):

عُبِّر في حكاية قول السَّحَرة: ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ بأداة الشَّرط المفيدة للشَّكِّ ﴿إن﴾، مع أنَّهم جازمون بالغلبة، ولكنَّهم ساقوا الكلام مساق الشَّاكِّ في الأمر؛ تخويفًا لفرعون بأنَّه إنْ لم يحسن في وعدهم لم ينصحوا له[2]!.

أرادوا تخويفه كي يحسن في وعدهم، ويبادر في تحقيق مرادهم

فكأنَّهم لمّا أظهروا التَّشكُّكَ قال لهم فرعون: بل لا بدَّ أن تكونوا أنتم الغالبين! فأجابوه: ولكنَّ هذا يتطلَّب جهودًا مُعرِقة، ومهارة حاذقة! يلوِّحون بالزِّيادة، ويطمعون في الاستزادة! فأجابهم الملهوفُ الذَّليل، ووعدهم بالعطاء الجزيل! وقد انتهزوا حاجته، ليمتاحوا نعمته!.

نكتة التَّعبير بالكون الماضي ﴿كُنَّا﴾:

التَّعبير بالكون الماضي في قول السَّحَرة ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ يدلُّ على الكينونة الثَّابتة المستمرَّة التي تكون بعد المعركة والمغالَبَة[3]؛ أي كونًا نحن راسخون فيه[4]، ففيه معنى التَّوكيد، والوثوق من الغَلَب لرسوخ قدمهم في السِّحر عياذًا بالله.

كانوا في الغَلَب واثقين، لكونهم في السِّحر راسخين

(1) الخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 11.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 32.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5353.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 32.

نكتة التَّعبير بضمير الفصل ﴿نَحۡنُ﴾:

الضَّمير المنفصل ﴿نَحۡنُ﴾ في قول السَّحرة: ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ ضمير فصل للتَّخصيص والتَّوكيد، فقولهم: ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ﴾؛ يعني: خاصَّة ﴿ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾[1].

بلاغة الموازنة بين ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾، و﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ قبلها:

وافقوا قيلَ فرعون ليُذكِّروه، وأعادوا كلامه ليُلزِموه

لمّا كان قول فرعون: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ مخرِجًا الكلامَ على صورة الشَّكِّ إلهابًا لطاقتهم، وإثارةً لحَميَّتهم، جاء سؤالهم: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ مخرجين الشَّرط على أسلوب ما وقع في كلام فرعون ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ موافقةً له، وتذكيرًا لفرعون بما قاله، وإلّا فلا يناسب حالَهم إظهارُ الشَّكِّ في غَلَبَتهم[2].

فأعادوا على فرعون ما قاله مع إعادة توجيه الضَّمائر تمسُّكًا بحقِّهم، وإلزامًا له بوعده، وانتهازًا لهذه الفرصة.

دلالة توالي المؤكِّدات في الآية:

شكَّ السَّحَرة في وفاء فرعون فاستوثقوا، وحشدوا المؤكِّدات ليتحقَّقوا

حَفَل قول السَّحَرة ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ بعدد مِن المؤكِّدات، منها:

الاستفهامُ التَّقريريُّ بالهمزة التي هي لطلب التَّصديق؛ إذ التَّقرير ضرب مِن التَّوكيد، والحرفُ النّاسخ المشبَّه بالفعل (إنَّ)، وهو مفيد للتَّوكيد لقيامه مقام تكرير الجملة، وتقديم شبه الجملة ﴿لَنَا﴾ على المسند إليه ﴿لَأَجۡرًا﴾ المفيد للاختصاص والتَّوكيد، ولامُ التَّوكيد الدّاخلة على اسم (إنَّ) المؤخَّر ﴿لَأَجۡرًا﴾، والجملةُ الاسميَّة الدّالَّة بأصل وضعها على الثُّبوت والتَّوكيد، والتَّعبيرُ بالكون الماضي ﴿كُنَّا﴾؛ لأنَّ (كان) تدلُّ على الكينونة الثّابتة المستمرَّة التي تكون بعد المعركة والمغالَبَة، وضميرُ الفصل ﴿نَحۡنُ﴾، فهو تأكيد للضَّمير

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 32.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 77.

في ﴿كُنَّا﴾، وذِكرُ ﴿ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ بالوصف والتَّعريف؛ لاستغراق صفات الجنس مجازًا[1].

وهذا الحشد من المؤكِّدات يدلُّ على أنَّ السَّحَرَة لم يكونوا مؤمنين بفرعون الإيمان كلَّه[2]، بل كانوا يشكّون في أنَّه سيعطيهم أجرًا على صنيعهم، فنزَّلوه منزلة المنكِر، وأرادوا الاستيثاق من وعده إيّاهم بالأجر، فساقوا هذه المؤكِّدات لإفادة هذا الغرض.

وجهُ فصل قوله: ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ عن سابقه:

أجـاب فـرعـونُ سَحَرَتَـه إلى ما يوطِّد به سُلطته

فُصِل قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ عن سابقه؛ لما بينهما من شبه كمال الاتِّصال، فجملة: ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ استئناف بيانيٌّ ناشئ عن سؤال مقدَّر بعد قول السَّحَرَة: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾[3]، فكأنَّ سائلًا سأل عن جواب فرعون عن قيلهم، فجاء الجواب: ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ مجيبًا إلى ما سألوه[4].

نكتة التَّعبير بحرف الجواب ﴿نَعَمْ﴾:

فـي التَّـعـبـير بحرف الجواب اختصار، وإجابة للطَّلب وإقرار

﴿نَعَمْ﴾ حرفُ جواب يسُدُّ مسدَّ جُملته، ويكون لتصديق المخبِر، أو إعلام المستخبِر، أو وعد الطّالب، فقوله: ﴿نَعَمْ﴾؛ أي: إنَّ لكم لأجرًا، فـ﴿نَعَمْ﴾ سدَّ مسدَّ هذه الجملة إيجازًا واختصارًا[5].

وقد التزم فرعونُ لهم الأجر[6]؛ لأنَّه إجابة لما طلبوا إليه[7]، فقد أقرَّ طلبَهم أوَّلًا بقوله: ﴿نَعَمْ﴾ الدّالَّة على استحقاقهم، وعدالة طلبهم[8].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5353.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5353.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 71.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 32.
(5) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 566.
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 138.
(7) الشهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 11.
(8) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5353.

وقرأ الكسائي: ﴿نَعِمْ﴾ بكسر العين، والباقون: بنصبها، وهما لغتان في المعنى نفسه[1].

معنى الواو ودلالتها في: ﴿وَإِنَّكُمْ﴾:

الواو في قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ حرف عطف[2]، حيث عطفت جملتَها على جملة مقول القول المقدَّرة المدلول عليها بحرف الجواب ﴿نَعَمْ﴾؛ أي: إنَّ لكم لأجرًا، وإنَّكم لمن المقرَّبين[3]؛ أي: لكم مع أُجرَتِكم وجزائكم على غلبتكم موسى إنْ غلبتموه مع الفائدة ما هو زيادة عليه، وهو القُربَى عندي والزُّلفَى لديَّ[4].

ما يعدُ فرعونُ السَّحرةَ إلّا غرورًا، وما تزيده الآيات إلّا نفورًا

فهُم ابتدؤوا بطلب الجزاء: وهو إمّا المال وإمّا الجاه؛ لأنَّ نهاية مطلوبهم منه البذل ورفع المنزلة، فبذل لهم كلا الأمرين[5]، وقرَّر لهم جزاءين:

الجزاء الأوَّل: الأجر، وقال: إنَّ لكم لأجرًا، مؤكِّدًا الأجرَ بأنَّه لهم، وإنَّه أجرٌ كثير عظيم لا يقادَرُ قدرُه.

والجزاء الثّاني: الذي يُعدُّ جزاءً كبيرًا عند الملوك والطُّغاة، وهو أن يكونوا مقرَّبين، وهذا التَّقريب إليه يتضمَّن مزايا معنويَّةً في نظرهم، وهو الرِّضا السّامي، ويتضمَّن مزايا أخرى بأنَّهم ينالون جزاءً ممّا يسلَّط على العباد بتسليطهم، ويتضمَّن مكاسبَ ماديَّة من السَّعاية والإفساد، والعلوِّ في البلاد[6].

دلالة التَّعبير بـ﴿إِذًا﴾:

﴿إِذًا﴾ مختَلَفٌ في حرفيَّتها واسميَّتها[7]، وهي جواب وجزاء،

جعل فرعون أجر السَّحَرة مشروطًا بغلَبِهم، ونتيجة لمهارتهم في تخييلهم

(1) الداني، التيسير، ص: 110، وابن الجزري، النشر: 2/269، والخطيب، معجم القراءات القرآنية: 4/ 311.
(2) ثناء الله المظهري، التفسير المظهري: 7/ 66.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 71.
(4) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 89، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 115.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 502.
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5353.
(7) ابن هشام، المغني، ص: 30.

يقول الرَّجُل: أنا آتيك، فتقول: إذنْ أُكرمَك، فهذا الكلام قد أجبتَه به وصيَّرت إكرامَك جزاءً له على إتيانِه، وقال الزَّجّاج: تأويلُها: إنْ كان الأمرُ كما ذكرتَ فإنِّي أُكرمُك[1].

وقد دخلت ﴿إِذَا﴾ - في الآية الكريمة - بين اسم إنَّ وخبرها في قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ - وهي جواب وجزاء كما تقدَّم - زيادةً في التَّأكيد[2]؛ ذلك أنَّه لمّا كان قولهم: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ في معنى جزاء الشَّرط لدلالته عليه، وكان قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ معطوفًا عليه ومُدخَلًا في حكمه، دخلت ﴿إِذَا﴾ قارَّة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء[3].

فكأنَّهم لمّا قالوا: ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ فهل لنا مِن أجر؟ أجابهم بقوله: ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[4]؛ أي: وإنَّكم إذْ تَغلِبون لمن المقرَّبين[5].

فوعدهم بالإحسان إليهم بشرط غلبتهم موسى عليه السلام[6]، وبيَّن أنَّ ذلك نتيجة عملهم، وذلك بالتعبير بـ﴿إِذًا﴾؛ أي أنَّه نتيجة عملكم؛ حثًّا لهم على الجدِّ والعناية[7].

معنى اللّام ودلالتها في قوله: ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾:

(اللّام) في قوله: ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ هي لام الابتداء المزحلَقَة المفيدة للتَّوكيد[8].

دلالة توالي المؤكِّدات في الآية:

حَفَل قولُه: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ بعدَّة مؤكِّدات، وهي:

حرفُ الجواب ﴿نَعَمْ﴾، والحرفُ المشبَّه بالفعل (إنَّ) الدّالُّ على التَّوكيد لقيامه مقام تكرير الجملة، ولامُ التَّوكيد المزحلَقَة الدّاخلة على خبر (إنَّ)، والتَّعبيرُ بالجملة الاسميَّة الدّالَّة بأصل وضعها على الثُّبوت، والحكمُ بأنَّهم يكونون مِن ذوي الزُّلفى المحيطين به، فيكونون في ظلامه وظُلمه[9].

(1) سيبويه، الكتاب: 13/ 12، والزمخشري، المفصل، ص: 443، وابن يعيش، شرح المفصل: 5/ 127.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 154، والبقاعي، نظم الدرر: 14/ 32.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 312.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 11/ 355.
(5) محمد حجازي، التفسير الواضح: 2/ 752.
(6) العليمي، فتح الرحمن: 5/ 60.
(7) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5353.
(8) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 71، وبهجت صالح، الإعراب المفصل: 8/ 186.
(9) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5353.

أكَّد فرعون وعده لسَحَرته؛ ليزداد نشاطهم، ويأتوا بكلِّ مقدورهم

والغرض من هذه المؤكِّدات هو إزالة الشَّكِّ من قلوب السَّحَرة في إنجاز فرعون وعده، وتثبيتًا لقلوبهم، وحثًّا لهم على بذل قصارى جهدهم لغلبة موسى ﷺ، فلقد رأى فرعون من موسى ﷺ آيات باهرات تهدم الباطل وتُزهِقه، وتنسف الكفر وتَمحَقه، ولقد زلزلت قوائم عرش فرعون زلزالًا، ولم تَدَعْ في أمر ذهاب ملكه شكًّا ولا احتمالًا، فأراد أن ينفق كلَّ ما لديه، ويستعين بملئه ومَن حواليه؛ لتدعيم سلطانه، وسَتْرِ سوأةِ خيبتِه وخسرانه، واللَّه غالب على أمره.

فتأكيده هذا يدلُّ على حرصه على التَّغلُّب على موسى ﷺ وقهره، وكأنَّه يقول: اغلبوه ولكم ما تريدون! ويريد أن يشجِّعهم ويغريهم لكي لا يدَّخروا وُسعًا في هذه المعركة مع موسى ﷺ؛ خوفًا على سلطانه، وتثبيتًا لصولجانه[1]!.

معنى (مِن) ودلالتها في قوله: ﴿لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾:

أغرى فرعون سحرته بالمقرَّبين أن يكونوا من جُملتهم، ويُعَدّوا في زمرتهم

الأصل في معنى (مِن) أنَّه حرفٌ موضوع للدَّلالة على ابتداء الغاية[2]، وهذا هو معناه في قوله: ﴿لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾؛ أي: ستكونون في زمرة المقرَّبين مِن بداية مَن يقال فيهم مقرَّبون إلى نهايتهم؛ أي: لن تكونوا في طبقة أقلَّ مِن طبقتهم، ولا معزولين عنهم، بل ستكونون من جملتهم، معدودين في زمرتهم.

معنى (أل) ودلالتها في ﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾:

وعد فرعونُ سحرتَه بالدُّخول في زمرته، وأن يكونوا مِن حاشيته وسُلطته

(أل) في ﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ هي العهديَّة؛ أي: تكونون مِن جملة مَن عهدتم مِن جلسائي وخاصَّة بطانتي[3]، والمصاحبين معي، فلكُم التَّرقِّي في المراتب والمناصب، والزِّيادة في الإنعام والإحسان في كلِّ حينٍ وأوان يومًا فيومًا[4].

(1) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 8/ 102.
(2) الزمخشري، المفصل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 459، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 75.
(3) المراغي، تفسير القرآن: 19/ 60.
(4) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 42.

فالتَّقريب الذي وعدهم به فرعون هو الجاه الزّائد على العطاء الذي طلبوه، والقرب من المَلِك الذي كان عندهم إلهَهم[1].

توجيه المتشابه اللَّفظيّ:

هنا مع قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأعراف: 113-114]، وأوجه الاختلاف بين الآيتين، هي:

القصَّة في الأعراف مبنيَّة على الاختصار، وفي الشُّعراء على البسط والإكثار

أولًا: ذِكر (لَمّا) الحينيَّة مسبوقة بحرف العطف قبل فعل المجيء في الشُّعراء دون الأعراف: ففي الأعراف: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ [الأعراف: 113]، وفي الشُّعراء: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾.

ثانيًا: تأخير ذِكر فرعون في الشُّعراء وتقديمه في الأعراف، ففي الشُّعراء: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ﴾، وفي الأعراف: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ﴾ [الأعراف: 113].

ثالثًا: ذِكر الاستفهام عن حصول الأجر في الشُّعراء دون الأعراف، ففي الشُّعراء: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾، وفي الأعراف: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الأعراف: 113].

رابعًا: ذكر حرف الجزاء والجواب ﴿إِذًا﴾ في الشُّعراء دون الأعراف، ففي الشعراء: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، وفي الأعراف: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأعراف: 114].

فهذه سؤالات أربعة يحتاج كلٌّ منها إلى جوابٍ شافٍ.

ولكن ممّا تنبغي ملاحظته - بداية - أنَّ بسطَ القصَّة في سورة الشُّعراء أوسع، ولفظُها فيه أكثر، أمّا لفظُها في سورة الأعراف فهو أوجز وأخصر[2].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 230.

(2) الإسكافي، درة التنزيل: 2/ 659، والكرماني، البرهان في متشابه القرآن، ص: 127.

دليل ذلك أنَّ المحاورة والمناظرة بين نبيِّ اللّه موسى ﷺ وفرعون طويت في الأعراف في ثلاث آيات: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٠٦﴾ [الأعراف: 104 - 106]، ثمَّ ذُكر أمر العصا واليد، أمّا في سورة الشُّعراء فقد استغرقت المناظرة ثلاث عشرة آية من الآية التّاسعة عشرة إلى الحادية والثّلاثين، ثمَّ ذُكر أمر العصا واليد.

أمّا **الإجابة عن السُّؤال الأوَّل** عن سرِّ مجيء ﴿فَلَمَّا﴾ في الشُّعراء دون الأعراف؛ فإنَّه لمّا كانت القصَّة في الأعراف مبنيَّة على الاختصار، وكانت الآية السّابقة لقوله: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ [الأعراف: 113] هي قوله: ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ١١٢﴾ [الأعراف: 112]، وكان مفهومًا لدى العقلاء ما طويَ ذِكرُه بين الجملتين مِن إرسال الحاشرين، وجمع السَّحَرة وإحضارهم، ومثولهم أمام فرعون، وتجمُّع النّاس ليشهدوا تلك المناظرة، لمّا كان ذلك كذلك ناسب أن يُعطَف قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ [الأعراف: 113] على سابقه بالواو عطف قصَّة على قصَّة.

ولمّا كانت القصَّة في الشُّعراء مبنيَّة على البَسط، وكانت الآيات السّابقة لقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ هي قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء: 38 - 40] فلم يُطْوَ ما بين اقتراح الملأ بحشر السَّحَرَة من المدائن وبين مثول السَّحَرَة أمام فرعون، لمّا كان ذلك كذلك ناسب أن يؤتَى بالفاء العاطفة التَّعقيبيَّة، و(لمّا) الحينيَّة.

وأمّا **الإجابة عن السُّؤال الثّاني** عن سرِّ تقديم ذِكر فرعون في الأعراف وتأخيره في الشُّعراء، فإنَّه لمّا كان الدّاعي لحشر السَّحرة في موضع الأعراف هم الملأ، وجاء فيه قبلَ هذه الآية قولُه تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ١١٠ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ١١٢﴾ [الأعراف: 109 - 112]، فنسب الكلامَ للملأ، فهُم القائلون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ١٠٩﴾ [الأعراف: 109]، لمّا كان ذلك كذلك فقد ناسب أن يُذكَر أنَّ هؤلاء السَّحرة قد جاؤوا مع الحاشرين مِن كلِّ المدائن قاصدين فرعون، مُقبِلين إليه، مجيبين أمرَه، فجاء النَّظم في

الأعراف: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الأعراف: 113]؛ لأنَّه لو قيل: (وجاء السَّحَرة فقالوا...)، لربَّما توُهِّم أنَّهم قالوا ما قالوه للملأ الذين دعَوْهم، فجاءت الآية مزيلة هذا الوهم، مبيِّنة أنَّ محاورتهم كانت مع فرعون بلا واسطة مِن ملئه وجنده.

ولمّا كان الدّاعي لحشر السَّحرة في موضع الشُّعراء هو فرعون نفسه، وجاء قبلَ الآية قولُه سبحانه: ﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤﴾ [الشعراء: 34]، فجعل الكلام لفرعون نفسه، فناسب أن يُطوَى ذِكر فرعون بعد فعل المجيء؛ لأنَّه معلوم أنَّ هؤلاء السَّحرة إنَّما جاؤوا فرعون؛ لأنَّه هو الذي دعاهم، لكنَّها بيَّنت أن مقالة السَّحَرة كانت لفرعون لا لغيره مِن ملئه، فجاء النَّظم في الشُّعراء: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ﴾.

وأمّا **الإجابة عن السُّؤال الثّالث** عن سرِّ ذِكر الاستفهام في الشُّعراء: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ وذكر التَّحقيق في الأعراف: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ [الأعراف: 113]؛ فإنَّ ذلك يُستَلهم ممّا أجاب به السَّحرةُ فرعونَ لمّا توعَّدهم بالصَّلْب والتَّقطيع في الموضعين.

فقد جاء ردُّهم في الموضع الأوَّل: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَا رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف: 125 - 126] فوجَّهوا كلامهم لفرعون مخاطِبين إيّاه: ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾ [الأعراف: 126] مجترئين غير خائفين.

وأيضًا في خطابهم نبيَّ الله موسى ﷺ متحدِّين إيّاه قائلين: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥﴾ [الأعراف: 115]، وما وصف الله تعالى به سحرهم في هذه السّورة فقال عزَّ مِن قائل: ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦﴾ [الأعراف: 116]، فناسب هذا ما جاء في بدء محاورتهم فرعون من قولهم جازمين: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ [الأعراف: 113] بالتَّحقيق والتَّوكيد.

وأمّا ردُّهم في الموضع الثّاني فقد جاء فيه: ﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرٌۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ٥٠ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فلم يكن فيه ما في سابقه، بل جاء قبله قوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾، على قول مَن ذهب إلى أنَّ فرعون تشكَّك في غلبة السَّحرة[1]، فناسب ما جاء في بدء المحاورة: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ بالسُّؤال الدّالِّ على الشَّكِّ.

وسؤالهم عن استحقاق الأجر إدلالٌ بخبرتهم وبالحاجة إليهم إذ علموا أنَّ فرعون شديد

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5352.

الحرص على أن يكونوا غالبين، وخافوا أن يسخِّرهم فرعون بدون أجر؛ فشرطوا أجرهم من قبل الشُّروع في العمل ليقيِّدوه بوعده[1].

فالحاصل أنَّه في الأعراف حتميَّة، وفي الشُّعراء استفهاميَّة؛ للدَّلالة على اليقين في الأعراف، والظَّنِّ والشَّكِّ في الشُّعراء[2].

وللإجابة عن السُّؤال الرّابع عن سِرِّ ذكر ﴿إِذَا﴾ في الشُّعراء دون الأعراف؛ فإنَّه لمّا كان موضع الشُّعراء متضمِّنًا استفهامًا، وهو قولهم: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾، وكان هذا القول في معنى جزاء الشَّرط لدلالته عليه، وكان قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ معطوفًا عليه ومُدخَلًا في حكمه، دخلت ﴿إِذَا﴾ قارَّة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء[3].

ولمّا خلا موضع الأعراف مِن الاستفهام خلا أيضًا من (إذًا)، فجاء في كلِّ موضع بما يناسبه ويشاكله، فلله درُّ التَّنزيل الجليل!.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأجْر والخَرْج:

الخَرْجُ أعَمُّ من الأجْر

الفرق بينهما أنَّ الخَرْجَ مأخوذ مِن النَّفاذِ عن الشيء أو النَّفاذ من الحيِّز؛ لأنَّه مالٌ يُخرِجه المُعطي[4]، وقد يكون هذا تبرُّعًا[5]؛ لأنَّ الخرجَ: ما تبرعتَ به أيضًا، وكلّ ما استخرج من ضريبة وجزية وغَلَّة فهو خَراجٌ وخَرْج، وسُمّي خَراجًا وخَرْجًا لأنَّ المؤدّي يُخرجه، والآخذ يستخرجه[6]، والخَرْج بإزاء الدَّخْل، يقال لكلِّ ما يخرجه الإنسانُ إلى غيره[7].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 126.
(2) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 8/ 102.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 312.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (خرج).
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 142.
(6) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 145.
(7) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 92.

أمّا الأَجر فجذره أصلان؛ **الأصل الأول:** الكِراء على العمل[1]؛ فالأجر: الجزاء على العمل، والأُجرة والإجارة والأُجارة: ما أَعطيتَ من أجرٍ في عمَلٍ[2]، والمعنى المحوريّ للجذر: أثرٌ أو حصيلةٌ لجُهدٍ ماديّ[3].

والأصل الثاني: جَبرُ العَظم الكسير[4]؛ يقال: أُجرَت يدُه، أي: جُبِرت[5].

ويمكن الجمع بين هذين الأصلين بالمعنى، فيكون المعنى الجامع بينهما أنَّ أُجرةَ العامِل كأنَّها شيءٌ يُجبَر به حالُه في ما لَحِقَه من كَدٍّ فيما عمِلَه[6].

ويدلُّ ما سبق على أنَّ الأجرَ يكون لمَن عمِل، والخَرْجَ لمَن عمِل ولمَن لَم يعمل؛ لأنَّ الخرجَ قد يكون ما تبرَّعَ به الإنسان ويشمل كلَّ ما يخرجه إلى غيره أيضًا؛ فيكون الخَرجُ أعمَّ من الأجر مِن هذا الوجه.

ولمّا رأى السحرةُ أنَّهم سيقومون بعمل يستحقون عليه جائزةً ومالًا[7]، طلبوا في مَساق الاستفهام أجرًا من فرعون إن غلبوا[8]؛ لذا أوثر لفظ الأجر في الآية.

وفي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [المؤمنون: 72] جاء اللفظ ﴿خَرْجًا﴾ [المؤمنون: 72]؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ لَم يسألهم أيَّ شيءٍ ممّا يخرجه الإنسانُ إلى غيره.

وفي قول الله ﷻ: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ [الكهف: 94 - 95] جاء اللفظ ﴿خَرْجًا﴾ [الكهف: 94]؛ لأنَّ ذا القرنين أبَى أن يُخرجوا إليه أيَّ شيءٍ ممّا يستطيعون إخراجَه له على عمله.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، اللسان: (أجر).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (أجر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).
(5) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، اللسان: (أجر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).
(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 7/ 258.
(8) البقاعي، نظم الدرر: 8/ 26.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»